

مجمع 'سجنانية' تجربة رائدة في الاقتصاد البديل من تونس



مشروع الاقتصاد البديل في المنطقة العربية (مصر والسودان والمغرب وتونس ولبنان) (2024)

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

مجمع 'سجنانية' تجربة رائدة في الاقتصاد البديل من تونس

ورقة تجارب

كتابة: نصاب براهيم

مراجعة: عمر سمير

مراجع اللغة العربية: أحمد الشبيني

تصميم: محمد جابر

مدير/ة المشروع: نصاب براهيم



1

مقدمة

تقع منطقة سجنان الجبلية في أقصى الشمال التونسي وتتميز بجمال الطبيعة إذ تحتوي على الجبال والغابات والبحر وهي مدينة ذات طابع ريفي تتبع ولاية بنزرت، ولكن رغم جمال هذه المنطقة وغناها بكل المقومات اللازمة لتكون مزدهرة يحظى سكانها بالتنمية والرفاه، فإنها منطقة فقيرة ويشكو مواطنوها ومواطناتها من البطالة والتهميش

لطبيعة المنطقة أيضًا أهميّة في مجال صناعة الفخّار فبفضل وجود مادة الطين بكثرة في جبال سجنان ووجود غابات وأراضٍ شاسعة بها غطاء نباتي ثري يتكون أكثره من شجر الذرو وخاصة في الوسط والجنوب، والذرو تستخلص منه العصارة والمادة الرئيسية للتزيين والزخرفة في صناعة الفخار

في سجنان ساهمت الموارد الطبيعية في انتشار صناعة الفخار وقد ارتبطت هذه الصناعة أساسًا بنساء المنطقة، إذ تمثل صناعة نسائية بامتياز، وتعتمد النساء في سجنان على مواد طبيعية مستخرجة من بيئتهم المحلية من دون أي مواد إضافية دخيلة، وتمثل صناعة الفخار مورد الرزق الوحيد بالنسبة إلى أغلبيتهن

وعلى هذا نشأت تجربة مجمع سجانية نسبة إلى المرأة السجانية، لتهتم بعمل النساء الحرفيات وتساهم مساهمة كبيرة في الحفاظ على هذا الموروث الأمازيغي القديم في هذه المنطقة



2

أولاً: معلومات أولية عن مجمع سجانية

تأسس مجمع المصالح الاقتصادية «سجانية» سنة 2012 في معتمدية سجان وهو تجمع لحوالي 100 حرفية مختصة في صناعة الأواني والعرائس والتحف من الفخار (الطين المحمي في النار). وهو مسجل تحت قانون الجمعيات في تونس باعتباره جمعية ويحمل رقمًا معرفيًا في السجل الوطني للمؤسسات: 1269807B³ وقد استلهمت الحرفيات عملهن أساسًا من تراث ثقافي أمازيغي منتشر في المنطقة، تم تناقله عبر الأجيال وتوارثته النساء من خلال أمهاتهن وجداتهن، فنجد الحرفيات من نفس العائلة الجدة والأم والحفيدة يشتغلن في صنع الفخار في المجمع، وقد تم إنشاء المجمع أساسًا بعد انتشار الفكر السلفي في المنطقة بعد الثورة التونسية، وفتح المجال أمام الخيمات الدعوية للسلفيين وبروز تيارات سياسية تتبنى هذا الفكر، وقد عرفت سجان

آنذاك بإمارة سجان وقامت بعض العناصر السلفية عدة مرات بتكسير العرائس التي كانت تصنعها النساء، ما اضطرهن إلى إخفاء الملامح وتفصيل أجساد العرائس، ولكن تواصل التهديد فالتجأ إلى التنظيم في «مجمع مصالح اقتصادية لتثمين منتوجاتهن»⁴ وفك العزلة عليها وطنيًا وحتى عالميًا، وتكللت جهود عضوات «سجانية» وبقية حرفيات وفنانات سجان بإدراج «المعارف والمهارات المرتبطة بفخار نساء سجان» ضمن قائمة التراث الثقافي العالمي غير المادي للـ«يونسكو» في «2019»⁵.



للمجمع صفحة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وأيضًا موقع ويب وهو يتميز بأنه يحتوي على كل الأخبار والتحديثات والأنشطة التي تقوم بها الحرفيات أو الإداريون ومنسقو المشاريع في المجمع بالإضافة إلى احتوائه على عديد من الصور للأواني والتحف وكل منتوجات المجمع

6

ثانيًا: أهداف وأنشطة مجمع سجانية

«مجمع سجانية» يعمل من الأساس على تكوين ورسكلة الحرفيات خاصة فيما يتعلق بعنصري الجودة والتصميم وهو ما ساهم في تطوير مبيعات الحرفيات من 40 إلى 70%. كما يساهم المجمع في تطوير عملية الترويج لمنتجات فخار سجانان على الصعيد العالمي.⁷

حسب موقع المجمع فإن الهدف من إنشائه يتمثل في:

1. السماح للحرفيات بالوصول إلى قنوات التسويق في تونس والخارج.
2. تحسين نوعية فخار سجانان من خلال الحفاظ على هوية هذا التراث ومنح النساء الحرفيات حرية الإبداع.
3. الترويج لفخار سجانان باعتباره علامة تجارية جماعية، من خلال تنظيم ورش عمل والمشاركة في المعارض والأسواق في تونس والخارج.

شارك المجمع منذ إنشائه في عديد من التظاهرات والأنشطة المتنوعة وحظي بدعم من الديوان الوطني للصناعات التقليدية في تونس على مستوى تكوين الحرفيات وتطوير مهاراتهم وتدريبهن على تقنيات صنع وتزيين وأشكال جديدة. كما دعمته وزارة السياحة من خلال الترويج لفخار نساء سجانان في تظاهرات دولية. وحرصت عدة منظمات غير حكومية، خاصة المهتمة بالتنمية والمرأة الريفية والتمكين الاقتصادي، على دعم هذا المجمع بشكل عملي أو معنوي والتعريف به.⁸

في سنة 2017 ساهم مجمع سجانية في حملة مناصرة رسمية ومدنية وأهلية لتقديم ملف ترشيح إدراج «المعارف والمهارات المرتبطة بفخار نساء سجانان» ضمن قائمة التراث الثقافي العالمي غير المادي لل«يونسكو»، وهو ما تم تبنيه في نوفمبر 2018. هذا الاعتراف الدولي شكل نقلة نوعية في مسيرة فخار سجانان و«مجمع سجانية» فالمنتجات أصبحت لها قيمة مضافة أعلى وأسواق أكبر. اليوم يضم المجمع أكثر من 180 حرفية، ولديه محلات في العاصمة تونس والمنتجع السياحي العالمي «ياسمين الحمامات»، كما أنه يشارك بانتظام في معارض وتظاهرات دولية. طبعًا كان لهذه التطورات أثرها المادي، فلقد ارتفعت المبيعات إلى الضعف تقريبًا كما أن أسعار المنتجات صارت أعلى ما يسمح بتحسين حقيقي للأوضاع الاقتصادية-الاجتماعية لحرفيات المجمع يمكنهن من الوفاء بشرط تلتزم به كل عضوة: محاربة الانقطاع المدرسي ودفع أبنائهن وبناتهن أكثر ما يمكن في مسار التعليم.⁹



وقد شاركت السيدة زينب فرحات أيضًا في مؤتمر حول السياحة المستدامة والسياحة البديلة، وكانت لها مداخلة أيضًا حول علاقة السياحة البديلة بالمرأة وتقويتها الاقتصادية، وتم التعرض من خلالها لتجربتها مع مجمع سجانية وفخار سجان وخصوصًا السياحة التجريبية كما شارك المجمع في عدة ورشات عمل لفرق التركيز التابعة لمشروع المناطق البيولوجية focus group bioterritoire sejnane والذي يهدف إلى إسناد العلامة المميزة لمنطقة سجان كمنطقة نموذجية بيولوجية

وللمجمع شركات متنوعة مع منظمات غير حكومية مثل أوكسفام، كما حصل على تمويل من سفارة فنلندا بتونس وقام في هذا الإطار بالمشاركة سنة 2019 في معرض habitare للتصميم والديكور بهلسنكي فنلندا، وتم تقييم عمل سجانية منذ تركيزها سنة 2012 بالتعاون مع سفارة فنلندا بتونس كتجربة رائدة في الاقتصاد التضامني والاجتماعي

بالإضافة إلى الشركات التي قام بها المجمع مع عدة ممولين دوليين فإنه منذ نشأته حظي بدعم من وزارة السياحة في تونس وقام بعدة أنشطة بالتعاون مع مؤسسات الدولة التونسية وتربطه علاقات شراكة وتعاون مع عدة مؤسسات حكومية من أهمها ديوان الصناعات التقليدية

ثالثًا: نقاط قوة ونقاط ضعف تجربة مجمع سجانية

تتمثل أهم نقاط القوة في تجربة مجمع سجانية لصناعة الفخار في أن للمجمع إشعاعًا وطنيًا ودوليًا وذلك بفضل الإدارة العصرية والناجعة وساهم المجمع في تثمين تراث حرفي وفي تقننه نساء المنطقة ونشره على نطاق محلي وأيضًا دولي.

- من بين أهم نقاط القوة أيضًا وفرة المادة الأولية ومجانيتها لتوفر الطين وأيضًا النباتات التي تستعمل للطلاء في منطقة سجان وهي مواد مجانية

وأخيرًا يعد الشكل القانوني المرن الذي يجمع بين الاستقلالية والتشاركية في طريقة تسيير المجمع من أهم نقاط قوته.

أما فيما يخص نقاط ضعف هذه التجربة فهي التركيز في تسويق المنتجات على المعارض وعلى نقاط بيع في مناطق سياحية ومرفهة وهي مناسبات غير متواترة وأيضًا قد تؤدي إلى تعب الحرفيات باعتبار تنقلهن إلى مناطق بعيدة عن أماكن سكنهن بدون توفر ظروف مريحة في النقل وفي الإقامة أيضًا حسب كلام إحدى الحرفيات بمناسبة إقامة معرض في منطقة الحمامات السياحية.

من أهم إشكاليات التجربة أن اتخاذ القرارات يتم بطريقة هرمية، إذ يتركز القرار عند الإدارة أكثر مما هو لدى الحرفيات فالقرارات لا يتم أخذها بتشاركية

وتتمثل الفرص الممكنة أمام مجمع سجانية في اجتذاب شرائح أوسع من المشترين في تونس، فبفضل المجمع وانتشار وشهرة حرفيات سجان تعرف التونسيون على هذا المنتج الذي لم يكن متاحًا باعتبار أن الحرفيات كن يبعن الأواني وعرائس الفخار على قارعة الطريق للمارة أو للسائح القادمين إلى المنطقة، وبفضل مشاركة المعرض في المعارض الوطنية وأيضًا بفضل افتتاح محل لبيع المنتجات في منطقتين سياحيتين هما الحمامات وجربة لاقى منتج سجانية رواجًا كبيرًا لدى التونسيين

من أهم الفرص كذلك التعاون مع مؤسسات اقتصادية تضامنية وسياحية وحرفية لبناء مسارات ترويج وتسويق جماعية ما ساهم في ارتفاع مبيعات المجمع والحفاظ على نسب عالية من ترويج وتسويق المنتجات، ولعل الشراكة مع الديوان التونسي للصناعات التقليدية أيضًا ساهمت في هذا الانتشار ودعمت موقع المجمع في سوق الصناعات التقليدية

أما التحديات التي تواجه هذه التجربة فهي أساسًا استدامة البعد الاجتماعي للمشروع وعدم التحول إلى شركة ربحية تقليدية خاصة في ظل طريقة تسيير هرمية وعدم إشراك الحرفيات في اتخاذ القرارات في المجمع وأيضًا ضمان استمرارية المشروع عند انقطاع الدعم المالي والتقني باعتبار ارتفاع مجمع سجانية بدعم مالي يعتبر مهمًا من عدة أطراف تونسية وأيضًا دولية بالإضافة إلى بعض المنظمات غير الحكومية، وأخيرًا من الممكن كذلك أن تمثل منافسة أنشطة شبيهة في المنطقة وفي تونس عامة رغم اختلاف نمط وزينة الفخار من منطقة إلى أخرى تحديًا يواجه المجمع وبالتالي على الحرفيات مواصلة التعلم والتكوين ليضمن مستوى عاليًا من الجودة في إمكانه منافسة المنتجات الأخرى



11

من أهم التحديات التي تواجه الحرفيات أن طريقة صنع هذا الفخار صعبة جدًا وتتطلب جهودًا كبيرة، حيث تذهب النسوة إلى مرتفع الجبل في بلدة سجانان لجلب الطين الأحمر ثم وضعه في الماء، تتم عملية الترتيب باستعمال أرجلهن ثم أيديهن حتى يتماسك، ثم يُضاف مسحوق بقايا الأواني المكسورة ويشكلن أواني أو قطع ديكور وأخيرًا يضعنها في الفرن، وفي المقابل فإن ما يتحصلن عليه من سعر لا يناسب كل هذا المجهود على مدار السنة، يلقي هذا الفخار إقبالًا متزايدًا من السياح والتونسيين أيضًا، ويزداد الإقبال عليه في المناسبات والأعياد، لكنه يُباع بأسعار زهيدة ما يجعل هؤلاء النساء يشقن ويتعبن من أجل كسب قوت يومهن.

رغم كل التحديات فإن هذه الحرفة هي موروث ثقافي توارثته النساء جيلاً بعد جيل، وجاء المجمع للمحافظة على هذا الموروث الثقافي حتى لا يندثر، وذلك عبر تشجيع الأجيال الجديدة على تعلم هذه الحرفة والمحافظة عليها أولاً كموروث ثقافي وثانيًا كمورد رزق. وتنشط معظم الحرفيات ضمن «مجمع سجانية» الذي سُمي نسبة إليهن، الذي ربما لم يكن لـ«فخار سجانان» أن يعانق العالمية لولاه، فهذا المجمع أخذ على عاتقه مهمة تكوين الحرفيات الشابات والترويج لمنتجاتهن داخل تونس، وخارجها



12

هوامش

- 1 اللوغو الخاص بمجمع سجانية https://www.facebook.com/sejnania/about_details?locale=ar_AR
- 2 صورة من الطبيعة في منطقة سجانان.
- 3 معرف السجل الوطني للمؤسسات: 1269807B
- 4 تقول زينب فرحات، منسقة المجمع: إن «هذا المشروع كان بطلب من الحرفيات اللاتي أطلقن صيحة فرع بعد أن هجرت الحرفيات عملهن بسبب بروز إمارة سلفية في سجانان، سنة 2012، وإفدام منتسبها على كسر عرائسهن الفخارية على خلفيات عقائدية.»
- 5 رامي عبد المولى خريطة تونس نماذج من الاقتصاد البديل ورقة لم تنشر بعد وجاءت في إطار مشروع الاقتصاد البديل في المنطقة العربية لمنتدى البدائل.
- 6 صورة للأجيال المتوارثة صناعة الفخار في سجانان.
- 7 فاطمة بلغيث، مقال بعنوان: فخار سجانان من المحلي إلى العالمي. <https://shorturl.at/T4Hoa>
- 8 صفحة المجمع على موقع فيسبوك https://www.facebook.com/sejnania/about_details?locale=ar_AR
- 9 من إنترفيو مع رئيسة المجمع السيدة زينب فرحات.
- 10 صورة من معرض قام به المجمع في المنتجع السياحي العالمي في ياسمين الحمامات.
- 11 عينة من منتجات المجمع.
- 12 صورة للحرفيات مع منتوجاتهن.



منتدى البدائل العربي
Arab Forum For Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات الاجتماعية

بناية وست هاوس 3، ش جان دارك الحمراء، مكاتب أوليف جروف، بيروت، لبنان.



+961 76 386 477



info@afalebanon.org



<https://www.afalebanon.org/>

هذا المصنّف مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي نَسب المصنّف - غير تجاري - منع الاستقاق 4.0 دولي.